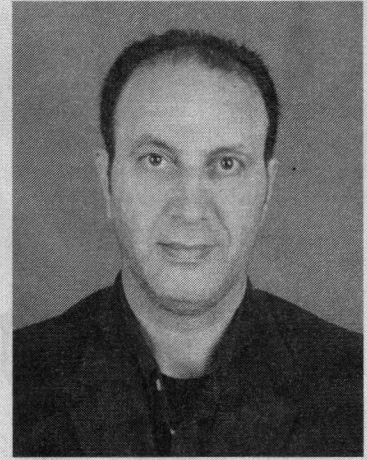


يوسون دور. رائد الموسيقى الإفريقية المعاصرة في دار الأوبرا السلطانية



وائل قاقيش

مختلفة؛ مثل: الفراعنة، واليونان، ودول في آسيا وأفريقيا، ولا تزال تستخدم في أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية وفي بعض الدول العربية في شمال أفريقيا مثل المغرب خاصة في موسيقى (الجانوة)، والتي ترد أصولها إلى غينيا.

أما في السنغال، فيوجد الكثير من الآلات الموسيقية المحلية الصنع أهمها «الكورا»، وهي الأكثر شهرة واستعمالاً وآلة الهودا، أو «الخلام» باللغة الولفية، والتي تشبه آلة الهجوو في المغرب العربي أو آلة «لوطان» عن قبائل الأمازيغ في جبال الأطلس تعزف كالعود وترافق المغنين، كما الحال في طريقة عزف الربابة البدوية مع الشاعر أو «البغلمة» مع العاشق التركي أو الراوي، ثم آلة «البلافون» من عائلة الزيلفون، وهي آلة لحنية وإيقاعية في نفس الوقت.

وتتميز الموسيقى الإفريقية بالإيقاعات المركبة والملونة والتي يجيدها معظم الفنانين الأفارقة والعامة العاديين. معظم الآلات الإيقاعية الإفريقية مصنوعة من أشجار معينة مثل شجرة «الدوجورا» ذات اللون البني أو «اللكة» ذات اللون الأحمر منها آلة (الجنبة) الإيقاعية، والتي هي أكثر الآلات الإفريقية شهرة تشبه في شكلها الدربة الشرقية ولكن أكبر حجماً. تشارك في العزف الإيقاعي مجموعة طبول بأشكال وأحجام مختلفة تعمل على خلق نوع هارموني مزخرف من الإيقاعات المتعددة الأصوات، وإضافة إلى (الجنبة) يستعمل الدجنجن وآلات إيقاعية عدة مشتقة من نباتات وأشجار طبيعية؛ مثل: ثمرة القطين.

أما الآلات الإيقاعية الأخرى المشهورة، فمنها آلة السبار، وهذا أيضاً اسم لرقصة معروفة في السنغال، وهذه الآلة كانت ولا تزال يستخدمها «جريتو»، وهو واحد أو مجموعة من الموسيقيين الذين لهم شأن عال ومرموق في البلد؛ فالجريتو يعزف ويغني ويرقص ويخبر روايات وقصص قديمة، وينشر أخباراً ورسائل إلى العامة ويدخلون القصور، ويمتعون الملوك والأغنياء بقصائد صوفية وأخرى متوارثة تقليدية، ويشاركون بالمناسبات الخاصة والوطنية والاحتفالات الشعبية وغيرها.

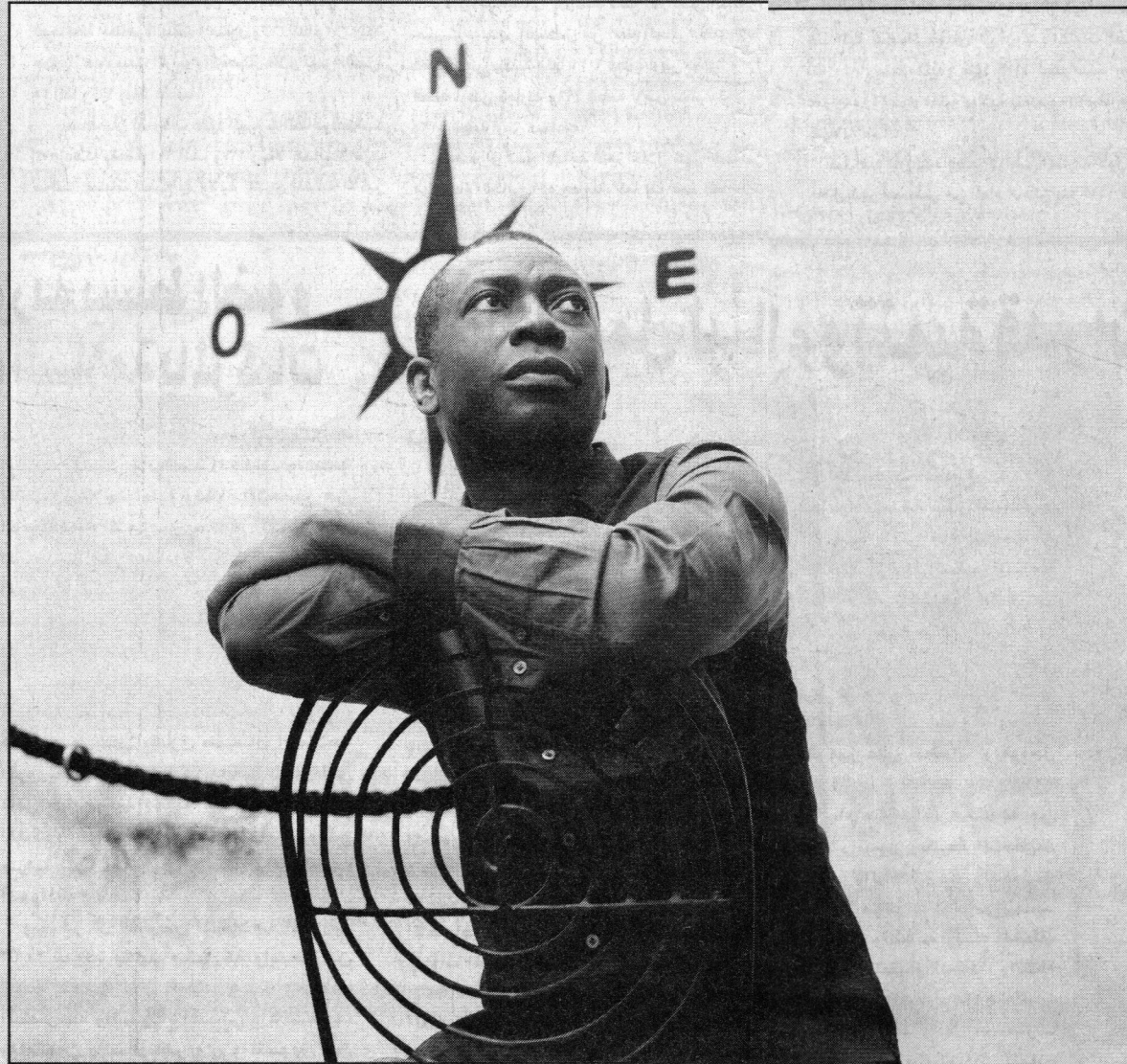
وقد شكل هذا الموروث الموسيقي التقليدي القاعدة المهمة والأساسية التي نشأ عليها معظم الموسيقيين والمطربين الأفارقة؛ ومنهم: يوسو ندرو، الذي نشأ في عائلة موسيقية من «الجريتو»، فكانت

والدته تملك صوتاً جميلاً وكانت العائلة معروفة عند الطبقات الحاكمة والأثرياء والنبلاء.

وكانت تغني العائلة بمناسبات عديدة؛ أهمها: الأفراح والمولد والطهور، وأخرى دينية وديوية، وكان بيت جده الكبير مقراً ومركزاً لملتقى الجموع الكبيره للاحتفال بالمناسبات العديدة على مدار السنة. رافق يوسو ندرو عائلته وتشبع بهذا التراث القديم الثري من الغناء الصوتي، أو سرد الروايات الشعبية والدينية، وبمصاحبة الموسيقى والإيقاع.

لاحظ والد يوسو ندور موهبة هذا الطفل وجمال صوته وثقته العالية بنفسه؛ حيث قال عن نفسه مرة: «إني ولدت لأكون مغنياً»، هكذا رأى نفسه بعد بلوغه سن الـ ١٣ حين التحق بفرق محلية

مثل «ديامنو» و«أوتوال دي داكرك»؛ حتى أنشأ فرقة خاصة به في ١٩٧٩ أسماها «ذا سوبر أوتوال»، والتي طورت نمطاً أفريقياً حديثاً تماماً من موسيقى البوب وخلفت الفرقة أثرها على فنانين ذوي اتجاهات متباينة للغاية مثل بيتر جابرييل وبول سايمون. حدث أن قدمه مرة مديع الراديو السنغالي في مناسبة حفل تأبين عازف السكسفون الشهير قانلاً: «اليوم سوف يشهد جميعكم على ولادة نجم أمام أعينكم»، وعندما غنى حينها الشاب الصغير يوسو ندور غناءً منفرداً جميلاً حست الجموع أن ما قيل هو صحيح، فقد أبهر يوسو الجمهور بغنائه وصوته الجميل والذي كان فيه شيء من الحزن لفقدان الفنان الكبير «بابا سامبا ديوب». وفي البداية، كان والداه غير راضين



عن حقيقة تحوّل يوسو ندور إلى مَن مع الفرق المجددة باعتقادهم هذه الفرق تضم أفراداً يتعاطون الخمر وهمهم معايشة النساء والأمور الأخرى التي تخالف عاداتهم وتقاليدهم الأخلاقية.

كانت هذه الفرق بالطبع تستخدم آلات حديثة كهربائية كالجيتار والأورغن وآلات نفخ كالترميت والترمبون وإيقاعية كآلة الدرمز، تختلف عن الآلات التقليدية في فرق التراث (الجروتو) الذي نشأت عليه العائلة، وكانوا يفرضون عليه البقاء والحفاظ على هذه التراث التقليدي الموروث والغنى. كثيراً ما قاوم رغبة والده في الابتعاد عن الموسيقى والتفرغ للدراسة، ولكن هذا الضغط ولد نوعاً من الجراءة عند يوسو ندور دفعته أن يترك السنغال ويذهب إلى غينيا للالتحاق بفرقة تقدم

أغاني إفريقية تقليدية، ولكن بمظهر حديث وقالب يميل إلى الغرب وإيقاعات السامبا والجاز والفلك والريجي.

وعندما شعر والده حينها بموهبته وأحلامه أحس بالفخر فطلب منه العودة ووعدته بتحقيق حلمه، ونجح ندور في إقناعه بالعمل في الموسيقى والانضمام لمعهد الفنون في دكار؛ ليشترك بعض الفرق السنغالية المحترفة والمشهورة المجددة في اللون والطابع والتي كانت حقيقة تمزج بين الحداثة في القالب الموسيقي والآلات، ولكنها تنبع وتحافظ على الجذور الموسيقية الإفريقية؛ وأهمها: الغناء باللغة السنغالية المحلية «الولفيه»، واستخدام إيقاعات وسلاسل إفريقية بحتة. ساهم ندور في مزج الموسيقى الإفريقية التقليدية والمبالاكس<> السنغالية مع إيقاعات برازيلية مثل السامبا أو جامايكية مثل الريجي أو الهيب هوب والجاز والصول والروكوالفلك... وغيرها من الإيقاعات اللاتينية والغربية المختلفة؛ حيث جمع بين أفضل تقنيات التسجيل الحديثة والأصوات والأنغام الإفريقية.. أصبح ندور نجماً من نجوم الفن الإفريقي، كما كانت قبله مريم مكاتب في الستينيات، ومانو دبابكو في السبعينيات، وموري كانطي في الثمانينيات.

... لم يكن يوسو ندور يقتصر في أغانيه على الإنشاد الديني فقط، بل كان يغني للحياة اليومية والصداقة والمناسبات، وكان أشهر ما عُرف به ابتكاره رقصاً جديداً وهو رقص «المروحة»، الذي بدأه في نوادي العاصمة السنغالية. وفي سن الخامسة والعشرين قام بجولات في أوروبا بفرقته تعرف من خلالها على بيتر جابريال مطرب الروك الذي كان يحاول اكتشاف نجوم الغناء في العالم الثالث ويقوم بتشجيعهم. وفي العام ١٩٨٨، قام بجولة عالمية مع نجوم مثل ستينج وبيتر جابريال وتريسي شاتمان في حفلات أقيمت من أجل تمويل منظمة العفو الدولية. كرس ندور الكثير من الجهد للأنشطة الإنسانية حيث رُشح كسفير للتواليا الحسنة لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، ومُنح درجة الدكتوراه الفخرية في الموسيقى من جامعة ييل الأمريكية، كما فاز في العام ٢٠١٣ بجائزة من السويد لدوره في تعزيز التفاهم بين الأديان فضلاً عن الموسيقى. ثم أصدر بعدها بعام ألبومه «بني كباري» بتنسيق مع الهيئات العليا للاجئين بالأمم المتحدة من أجل تمويل مشاريع تربوية لأطفال اللاجئين.

رئيس قسم التعليم والتواصل
المجتمعي بدار الأوبرا السلطانية